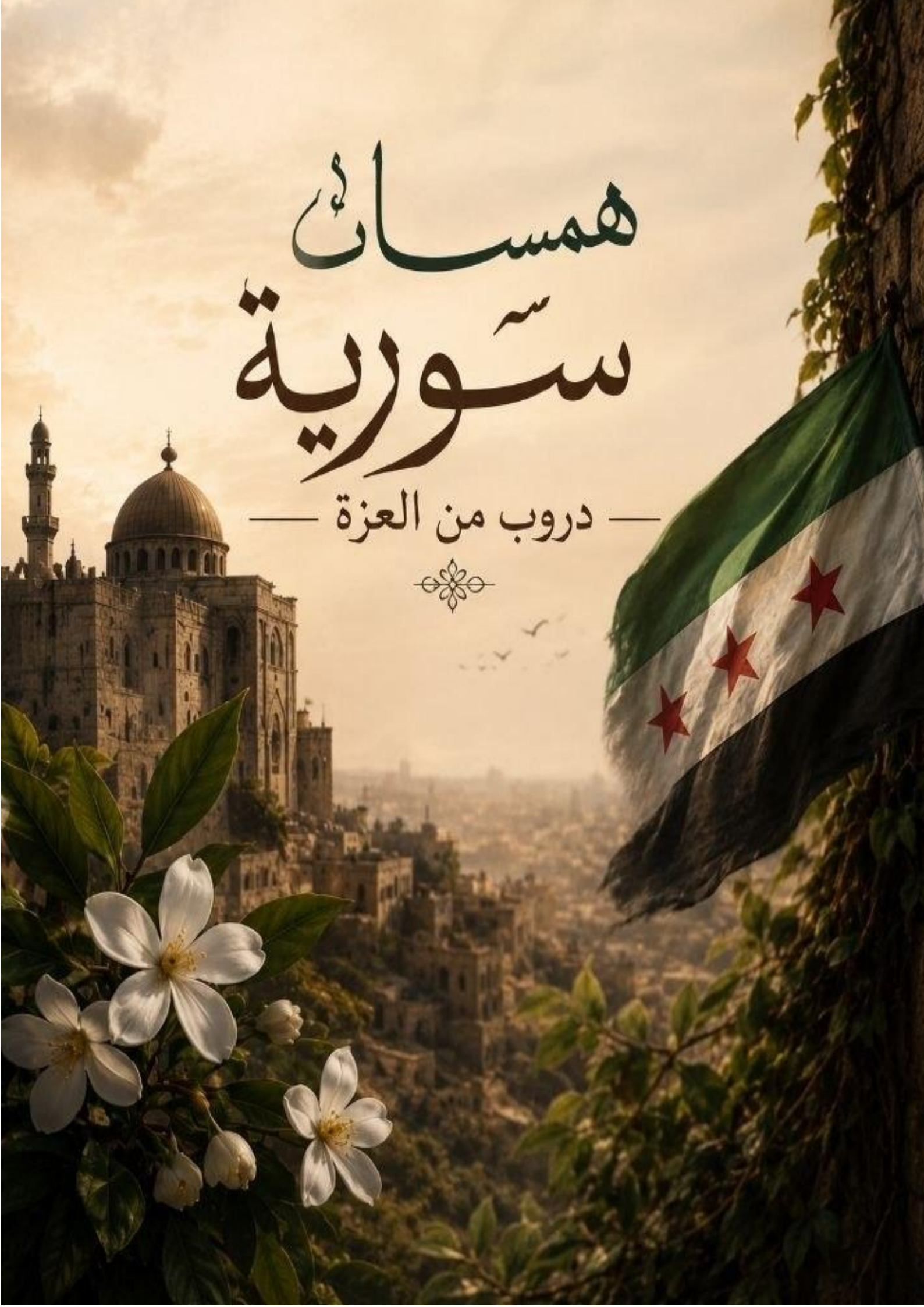
همسات
سورية
دروب من العزة

همسات سورية

للكاتبة:
نور علي اللبواني

تدقيق: نور اللبواني

تنسيق: كوثر الخياط

همساتٌ سوريّةٌ....

دروبٌ من العزّة

ذلك العبثُ يجعلُنا نكتبُ
وننسى أنَّ الكلماتِ ستصبحُ رماداً يوما ما
لكنّنا نكتبُ رغمَ ذلك.

-الإهداء-

إلى كلّ من حمل الوطنَ في قلبهِ قبلَ نفسهِ

إلى الّذين رحلوا بصمتٍ وتركوا وراءهم دموعنا

إلى الشّهداءِ الّذين صاروا نبضاً في الأرض

إلى الرّيح الّتي حملت آهاتِنا

إلى اللّيلِ الّذي شهدَ على غيابِنا

إلى سوريا الّتي لم تمُت فينا رغمَ الخراب

إلى كلّ من قاومَ،

كلّ من فقد،

كلّ من حلُمَ بسوريا أفضل....

أهديكم هذا الكتاب.....

إهداء خاص

إلى روحكَ الطّاهرة التي آنست وحشتي

إلى وجهكَ القَمريّ الذي كان مرافقي في كّل اللحظات

لربّما علمتَ ما ألمّ بي مذ وصلني شاهدُ الوفاة

حلمتَ بأن تكون ابنتكَ لا تشبه أحد، وها أنا اسعى بكل ما أوتيتُ من قوّة....

قد اخترت لي أمّاً عظيمة، ما توانت يوماً في مساعدتي لأصل...

والدي الغالي....

اسمُك الذي حُفر في كلّ ركن من أركان قلبي نُقشَ اليوم على صفحات هذا الكتاب...

كتبتُك في كل صفحة ولم أندم...

رحمَ الله ذلك القلب الذي كان له أن يحتوي خوفي في بومٍ ولم يستطع

رحم الله ذلك الحبّ الذي لم يكتمل

سلامٌ لروحكَ ولأرواحِ الشهداء الأطهار

المقدمة

منذُ سنواتٍ، ونحنُ نحملُ وطناً ممزّقاً في صدورنا

وطناً نزفت فيهِ الأرضُ دماءَ أبنائهِ، وطناً صارَ فيه الصّمتُ أشدّ من كلّ الكلمات.

أيعقلُ أن يبقى الوطنُ جريحاً لكلّ هذا الوقت؟

هذا الكتاب ليس مجرد حروف على صفحاتٍ، بل هو دموعنا، صرخاتنا، صمودنا، وذاكرتنا الّتي رفضتِ النّسيان.

فيه السّياسة، لأنّها الجذر الّذي زرعَ الظّلم، وخلقَ الخراب، وصنعَ وجعنا...

فيه المعاناة، لأنّها كانت في وجوهنا في بيوتنا المدمّرة،

في المعتقلات،

في قلوبنا الّتي لم تعرفِ الرّاحة،

وفي دموعنا الّتي لم تجف...

فيه الصّمود، لأنّهُ رغمَ الخراب والفقد، آمنّا بأنّ سوريا ستنهض، وبأنّ الحريّة ممكنة..

هذه الصفحات ليست حكايتي وحدي، بل حكاية كل من قاومَ، كل من صبرَ،

كل من أحبَّ حتّى النّهاية...

اقرأوا هذه الكلمات كما لو كنتم تمشون في شوارع سوريا،

تتنفسون هواءها الممزّق،

تسمعون أنينَ مآذنها،

وزفرات منازلها المدمّرة،

تشعرون بألمها،

وتلمسون الأملَ المتأججَ في أعماقنا

هذه شهادةٌ على الألم، صرخةٌ للأمل، ووفاءٌ بوعدِ العدالةِ الّتي أزهرت من كلّ قلبٍ قد رفضَ الخضوعَ والاستسلام....

وميضٌ قبلَ الغضبِ

الظلالُ تتحركُ بصمتٍ، والقمرُ يراقبُ

قلبُها يشتعلُ والعاصفةُ لم تبدأ بعد

لكنّها على وشك....

الفصل الأول
جذور الغضب
من عمق الجرح... تبدأ الحكاية
حيث تُولد المقاومة، وتكبر الحرية.

الفصل الأول

جذورُ الغضبِ

سوريا، الأرضُ الّتي حملت وجعَ التّاريخِ كما يحملُ الجرحُ دماءه
الغضبُ لم يكن عاصفةً مفاجئةً، ولا هبّةً عابرةً....
كانَ شجرةً نبتت جذورها في عمقِ العقود، ارتوت من دموع المقهورين وصمتِ الأجيال
حتّى أينعت يوماً في صيحةِ حريّة.

كلّ شارع كان جرحاً،
كلّ حيّ كان شاهداً،
وكلّ مواطنٍ كانَ يحملُ في قلبه بذرةً تنتظرُ لحظةَ الانفجار.

على مدارِ عقودٍ، كانَ الفسادُ يسيلُ في عروقِ الدّولة كما يسيلُ السمّ في الجسد.
الدولة التي كان يفترضُ أن تكون بيتاً يحمي أبناءها، صارت وحشاً يلتهمُ خبزهم وعرقهم.

ثرواتُ الوطن كانت تنهبُ كما تُسرقُ أنفاسُ سجينٍ في زنزانة ضيّقةٍ، بينما موائد الحكّام تفيضُ بما لم يحلم به الفقراء حتّى بالمنام.

لم يقتصر الفسادُ على المال، بل غلّفَ العدالةَ بحديدهِ: قضاءٌ أعمى لا يرى المظلوم، وإدارةٌ مشلولة لا تسمعُ أنين النّاس.

صار المواطنُ غريباً في وطنه، يبحثُ عن عدالةٍ لا وجودَ لها؛ فيشعرُ أنّ الأرض تسحبُ من تحتِ قدميه.

كانتِ الحريّة تُباع على الأرصفة بالسجون، وتقايضُ بالدّموع...
كلّ كلمةٍ قد تكلّفُ حياة، وكلّ همسةِ معارضةٍ قد تتحوّلُ إلى لعنة...
امتلأت المعتقلاتُ بأجسادٍ أنهكها التّعذيب، وبأرواحٍ لم تمنَح فرصة الوداع أحبتها.

الصّمتُ لم يكن خضوعاً، بل كان غلياناً تحتَ الرّماد..
كانَ الشّعبُ كبركانٍ صامتٍ، يراقب، يكبت، يختزن، حتّى تحين لحظة الانفجار.

الشّباب كانوا أكثر من دفع الثّمن: بطالةٌ خانقةٌ، مستقبلٌ مغلقٌ، أفقٌ يضيقُ كزنزانة.

الأحياءُ الفقيرةُ لم تكن مجرد أحياء؛ كانت جروحاً مفتوحةً على وجهِ الأرضِ.

مياه ملوّثة، مدارس بلا كتبٍ، مستشفياتٌ بلا دواء... تفاصيلٌ صغيرة لكنّها قاتلة، كانت تعلّم المواطنَ

كلّ يومٍ أنّ حياته لا تساوي شيئاً عند الدّولة.

وبينما كانت القصور تُزيّنُ بالرّخام، كان الفقراء يرممون بيوتهم بالتّراب والانتظار.

الشّرارة الأولى: درعا

مارس 2011، مدينة صغيرة على أطراف الوطن أشعلت ناراً في قلبه
كتبَ طلّابُ درعا على جدران مدرستهم الحرّية كرامة
ولربّما كانت الكلمات بسيطة، لكنّها كافية لتفضحَ خوف النّظام.

الاعتقال الوحشيّ للأطفال كان الشّرارة الّتي أيقظت ما ظلّ مكبوتاً لعقود.

خرجَ الأهالي كما يخرجُ القلب من الصدر: مطالبين بفلذات أكبادهم، مطالبين بكرامتهم... كان الرصاص ردّ النّظام، لكن الدّم المسفوك صار ماءً يروي غرسةَ الثّورة الأولى.

الشّباب كانوا وقود الثّورة ونبضها...
حملوا الكاميرات بدل البنادق، ونظّموا المظاهرات كما لو كانوا يكتبون قصيدةً جماعيّة عن الحريّة

النساء لم يقفن خلف الستار؛ خرجنَ في الصفوف الأماميّة، حملنَ اللافتات كما يحملن قلوبهن، وبكين شهداؤهن كما لو أن الدموع نفسها مقاومة.

المجتمعُ المدنيّ كان يداً ثالثةً للشعب: يوزعُ الطعام، يسعفُ الجرحى، يوثّق الانتهاكات.

كان الناس يعرفون أن الثورة أكبر من صرخة، إنها حياة جديدة تُبنى رغم الدّماء.

في تلك اللحظة، لم يعد الوطن مجرد جغرافيا، صار قلباً يسكن في الصّدر، يلهثُ في كل نفس، ينبضُ مع كل شعار.

الجدران تحوّلت إلى دفاتر حرية
رسومات الأطفال صارت نشيداً
والأغاني الوطنيّة تسللت إلى الأزقة كما يتسلل الضوء إلى العامة

لم تكن الثورة مجرد احتجاج، بل كانت صلاة جماعيّة للكرامة، ووعداً بأن الظّلم مهما طال لا يطفئ الحلم.

الخاتمة:

الجذور العميقة للغضب السّوري لم تكن سراً، كانت حكاية مكتوبة على جدران السّجون، في عيون الفقراء، وفي دموع الأمهات...
لم يكن ذلك ميلاد ثورة، بل كان انبعاث وطنٍ ظلّ حيّاً رغم كلّ ''حرية''وحين نطقت درعا بكلمة.
محاولات قتله

شرارةُ الغضب
الصّمتُ ينكسر،
خطوة،
صرخة،
زجاجٌ يتحطم...
المدينةُ كلّها تتنفّسُ الغضب...
الثّورة لم تولد بعد، لكنّها تهمسُ: انتفضوا....

الفصل الثاني

الشرارة الأولى...

بدايات الثورة

"من شرارة صغيرة تشتعل الثورات."

الفصل الثاني

الشّرارة الأولى بدايات الثورة

درعا: بدايةُ الحكاية

درعا... المدينةُ الصّغيرة على أطراف الوطن الّتي أيقظت قلبه النّائم
طلاب المدرسة خطّوا على الجدار المتصدّع كلمات بريئة...
كانت حروفاً صغيرة، لكنّها كسرت صمت الخوف وفضحت جبروت السّلطة.

الاعتقال الوحشيّ والممنهج للأطفال كان الشّرارة؛ شعلة أضاءت رمادَ العقود الطويلة من القهر.
خرج الأهالي كدمٍ يتدفق من جرح غائر، مطالبين بأرواحهم المأسورة، وبكرامتهم المسلوبة منذ زمن...
جنازات الشّهداء تحوّلت إلى مسيرات للأمل، وصيحات الأمهات إلى ترانيم صمود...
تحوّلت الخوفُ إلى غضبٍ يزهرُ في كلّ شارع.

درعا لم تكن بداية الثورة فقط...
بل كانت قلبها النابض...
رمز الانبعاث في وجه الظلم.

دمشق وريفها: العاصمة تتنفس الحرية

حين هبت رياح درعا، لم تكن مجرد صرخة، بل نبضة اجتاحت كلّ قلبٍ في دمشق، تسللّ صداها إلى الأزقة القديمة،
إلى الحجر المتعب،
إلى الأرواح التي لم تعد تعرف الخوف
كلّ حيّ صار نافذةً على الحريّة...
الشباب بأعينهم المضيئة، وزّعوا المناشير كما لو كانوا يوزّعون نوراً على ظلال الموت،
رفعوا الكاميرات في وجه البارود، ليكتبوا العالم شهادةً بأن الحياة أقوى من القنابل،
وأن الصور أحياناً تصنع الثورة كما تصنع الكلمات الشعر.

النساء لم يختبئن في البيوت، بل خرجن كأنهن شموسٌ لا تُطفأ،
وجوههنّ المضيئة بالدّموع صارت شعلة...
زرعن الثّبات في قلوب كل من خرج.

ريف دمشق، بأرضه الخصبة وحقوله التي تأبى أن تنكسر، كان سنداً للعاصمة؛ دواء، مأوى للجرحى، وبذرة الأمل التي تُزرع في كل زاوية، في كل عين باكية: صار الريف والمدينة قلباً واحداً ينبضُ

بالصّرخة ذاتها.
الشعبُ يريدُ الحريّة!

هناك، بين الرّكام والجدران المهدّمة، يولد وطنٌ جديد
من بين الرّماد....
حيث كل حجر يحكي حكاية صمود، وكل شرفة تشهد على الحلم،
وكل قطرة دم تصبح شعاعاً في عتمة الظّلم، تنير الطّريق للقلوب المقاتلة.

الحريّة هنا ليست وعداً على ورق، بل نهر من صرخاتٍ متدفقة...
نهرٌ يمرّ من الميادين إلى الحقول،
من البيوت إلى الساحات، ينسج من الألم والشّجاعة شعراً حيّاً،
و يكتب على الجدران، في كل زاوية، في كل شارع...
أنّ الحياة أقوى من أي سلاح، وأنّ حبّ الوطن أقوى من أي خوف.

صراخٌ مكتومٌ يتسللُ بين الأزقة
و الدّماء تروي الأرضَ بصمتٍ رهيب...
هناك أيدٍ غريبة تتحركُ في الظل،
تتلمس الطريق للثورة...
ولكن؛ من الذي يراقبنا حين نعتقدُ أننا وحدنا؟
وهل تكون الحرية أكثر فوضى حين نطلبها.

إدلب: الريف المقاوم...

إدلب لم تنتظر طويلاً....
وقفت عند حافّة البلاد كغيمةٍ تبحثُ عن مطرها،
وفتحت ذراعيها للقرى التي خرج منها حفاةً؛ لكنهم محمّلون بوطنٍ صغيرٍ في صدورهم...
رفعوا اللافتات كأجنحةٍ نجت من الحريق...
وحين هتفوا، صار للصّوت ظلّاً يمتدّ حتّى آخر اللّيلِ.

التّضامنُ فيها لم يكن بطولةً سينمائيةً...
ولا رغبةً في الظهور على شاشات الفضيلة...
إذا اعتُقلَ واحد،
قامت القرى كلّها....
لا لأنّهم وحوش،
بل لأنهم يعرفون أنّ طابورَ السّجناء طويل...
وأن الدّور سيصلهم إنْ جلسوا يتفرجون.....

حماة: مدينة الذّاكرة، والمقاومة الصّامتة

حماة.... تنبضُ بذاكرة الألم كما تنبضُ الشرايين بالدّم.
جروح الثمانينات لم تندمل، لكنّها صارت وقوداً لصوتٍ خافتٍ لا ينطفئ.....
خرجَ أبناؤها كظلال تتسلل بين الشوارع،
بقلوب تزهر بالعزم وحذرٍ قاتل.

مظاهرات صغيرة كنجومٍ في سماء الليل،
لافتات ترفع وتختفي، كما يختبئ الضوء قبل الفجر.
حماة تعرف عين النظام،
لكن قالت بصمتٍ صادق :
نحن هنا.... باقون،
لا نخضع،
لا نستسلم،
ولن نصمتَ أبداً.

المدينة نفسها صارت صدىً للثورة،
تحفظ الأمل في كل زاوية،
وتزرعه حيث لا يراه أحد...

من درعا إلى دمشق،
من حمص إلى حلب،
ومن إدلب إلى الساحة..
كانت الثورة نسيجا من الرموز
الجدران التي امتلأت شعارات،
كأنها دفاتر سرية للوطن.
رسومات الأطفال تحوّلت إلى أيقونات أمل.

الهتافات ملأت الساحات،
حتى صار المسجد و الشارع مسرحاً واحداً الحرية.

خرجنا خائفين، لكننا لم نعد ‘‘قالت امرأة من درعا’’
صرخاتٍ النساء كانت وقودنا ‘‘قال شاب من دوما’’
كل يوم كان يضيف صفحة جديدة في تاريخنا ‘‘قال ناشط من حلب’’

الخاتمة:

الشرارة التي بدأت من جدار مدرسة في درعا امتدت كالنّار في الهشيم
كل محافظة أضافت طابعها:
درعا الشرارة
دمشق القلب
حمص الصّمود
حلب الصوت
إدلب التحدي
حماة الذاكرة
اللاذقية الهمس الخافت.

لم تكن الثورة مجرد احتجاج،
بل كانت قصيدة جماعية كتبها السوريون بدمائهم ودموعهم
وأهداها كل واحد منهم لوطن لم يمت، ولن يموت.

صراخٌ مكتومٌ يتسللُّ بين الأزقة
و الدّماء تروي الأرضَ بصمتٍ رهيب...
هناك أيدٍ غريبة تتحركُ في الظل،
تتلمس الطريق للثورة...
ولكن؛ من الذي يراقبنا حين نعتقدُ أننا وحدنا؟
وهل تكون الحرية أكثر فوضى حين نطلبها؟

الفصل الثالث
أيدٍ من بعيد...
دماءُ هَنَا
حين تتواظأ الصمت... تُروى الأرض بدمٍ لا يُسأل عن جنسية
همسات سورية: دروب من العزة
وسمى، شظايا القمر

فصل الثالث

أيدٍ من بعيد.. دماءٌ هنا

الوطن لم ينهض وحده
ولا كانت ثورته مجرد صرخة في الفراغ...
هناك من بعيد،
من وراء البحار
من فوق الخرائط
أرسلوا أيديهم، ناعمةً أحياناً، لكنّها تحمل الريح والبارود
أحياناً تبدو كدعامة، وأحياناً كخنجرٍ يخترقُ الظلّ..
هناك...
على الشواطئ المتحركة
أو بين الغيوم الثّقيلة
كان القرار يُصنع..

وحيثما أريق الدم في درعا وحمص كان هناك من يخطط، يوزّع المصائر
لكنّ الشعب
هذا الشعب الذي يحملُ قلبه على كفه
ظلّ يزرع الحرية بين الأنقاض...
يرسمها على الجدران..
رغم كل الأصابع التي حاولت أن توقفه
ورغم كل القيود التي حاولت أن تحاصره....

الخرائط البعيدة وأصابع المؤامرة

في غرفٍ مضاءةً بالبرق الصناعي
تُفتح الخرائط..
وتنقر عليها أصابع مجهولة
خططت لتوجيه الرياح، وزرع الدعم
وصبغت الحصار على الجغرافيا
كل قرار بعيد المدى ينعكس مباشرة على البيوت المهدمة
المدارس المحترقة
الأسواق الخاوية
ووجوه الأطفال التي لم تعرف اللعب بعد
الأيدي لا تُرى كعصافير عابرة
لكنها تُلقي بذور الخراب على الأرض..
تترك صمتاً متقناً

ودماً يروي الأرض كما لو كانت الخرائط تُقرأ بالعين لا بالقلم

درعا: الشرارة والخديعة

في درعا، حيث بدأت الشرارة، أصابت الأيادي البعيدة الخوف، فأرسلت دعماً مضاداً، وهمست بالوعود، وزرعت المراقبين المغنيين؛ لكن الأهالي لم يعرفوا سوى قلبهم النابض، وصرخاتهم التي كسرت الصمت
كل اعتقال
كل رصاصة
كل دمعة...
كانت شاهدةً على أن الأرض وحدها لا تكفي للسيطرة على إرادة الشعب
الشرارة هنا لم تكن مجرد نار
بل كانت الضوء الذي يشقّ العتمة

دمشق وريفها: العاصمة تحت المراقبة

في دمشق، الحرية كانت مخفيّة في الأزقة الضيقة، بين جدران تعجّ بالذّكريات
المال و القرار و السياسة العبرة للأمم تدخلت في كل شارع
وكأن العاصمة لوحة يعاد رسمها كل يوم
لكنّ الناس،
الشباب،
النساء
والأطفال
رسموا الحرية بخطواتهم المبعثرة
بالكاميرات،
بالهتافات،
والورود..
حتى أصوات المآذن صارت جزءاً من الثورة،
تصدح بين الرصاص والكاميرات
وتعلن أن الوطن حيّ

حمص: القلب الذي يرفض الانكسار

في حمص
قلب الثورة النابض
جاءت الأيادي البعيدة لتقلب الخرائط؛

لكن الشعب رفض أن يكون رقعة على طاولة...
خرج الأبناء كما يخرج النهر بعد المطر
وقفوا في الشوارع بلا خوف
النساء بكين
كل دمعة كانت مقاومة
وكل ابتسامة كانت سيفاً على الخرائط المخفية
كل شارع هنا كان لوحة من الألم والأمل معاً

حلب: صرخة الشمال والعقل المتقد

حلب، المدينة العتيقة
شهدت استراتيجيات مخططة من بعيد
لكن الطلاب، العمال، والناس العاديون حولوا كل جامعة، مصنع، وحيّ إلى منصة للوعي والمقاومة
الأصوات وصلت للعالم، حتى وإن حاولوا كتمها...
حلب كانت صرخة لا تُمحى
صوت الثورة في الشمال
الأسواق والأزقة صارت أوتاراً تضربها خطوات الأقدام وصيحات الحرية...

إدلب: الريف المقاوم، والخيوط الخفيّة

في إدلب لم تكن القرى مجرد حجارة وأشجار، بل شعلة حقيقية
الأيادي البعيدة حاولت استقطاب الدعم وخلق الصراعات
لكنّ التضامن كان أقوى
خرج الناس حفاةً أحياناً، ولكنهم غنّوا بالأمل
حتى الطبيعة الجبلية كانت حامية لهم
ترعى الناشطين كما ترعى الغيمُ الأرض العطشى
.والوديان كانت تهمس بالأسماء التي لن ننسى

اللاذقية: الساحل والهمس الصامت

في اللاذقية، حاولت التدخلات الخارجية خنق الحرية بين أمواج البحر و الصخور
لكن الشباب،
رفعوا أصواتهم كأغاني سرية، وأهل الأحياء الفقيرة
خرجوا بخطوات خجولة، مثقلة بالعزم
حتى الأمواج صارت تهمس مع الأمل
كل موجة تقول: الوطن حيّ، والحرية لن تكون

الأسطح الصخرية
الطيور المهاجرة
والهواء المشبع بالملح
كل شيء صار شاهداً على المقاومة.

حماة: مدينة الذاكرة والمقاومة الصّامتة

حماة المدينة التي تنبض بذاكرة الألم
شهدت تدخلت بعيدة على الإعلام والدعم المزدوج
لكن أبناؤها استمروا كظلال تتسلل بين الشوارع، بمظاهرات صغيرة
بحلقات توعية
بلافتات ترفع ثم تختفي
المدينة نفسها صارت صدىً للثورة
تحفظ الأمل في كل زاوية
وتزرع المقاومة في النفوس...

الجدران المليئة بالشعارات
رسومات الأطفال
الطيور
الأعلام الصغيرة
الزهور... كل شيء أصبح رمزاً للمقاومة
لغةٌ تتحدث عن الحريّة بصمتٍ
تعلن أن الوطن حي في القلوب قبل الخرائط
حتى البحر الصامت كان شاهداً على إدارة الشعب...
ورغم كل التدخلات
ظلّ ينبض في الصدر
لا في الخرائط

الخاتمة:

وغابت الأصابع
وتوقفت الخرائط
لكنّ الشعب ظلّ..
ظلت القلوب تنبض
والدم لم يجف
والحرية صارت وعداً يلوح في الأفق

الوطن ليس الأرض وحدها
ولا الخرائط وحدها
بل نبض كل قلب رفض أن يبيع أمله
كل نفس قاومت الصمت
وكل دم روى الأرض كي تولد الزهور
حتى لو تآمر العالم
حتى لو خططوا من بعيد
يبقى الوطن حيّاً في الدراهم
في الشوارع
في القلوب
وفي دموع الأمهات
ويظلّ الحلم حياً مهما طال الخراب
هناك حيث تنهار الأسوار وتختبئ الجدران
تسمع المدينة أنفاس من لم يعودوا موجودين
كل حجر هنا يحمل سراً
لكن؛ من يقرر من يعيش ومن يختفي؟

الفصل الرابع
المدينة المكسورة

الفصل الرابع

المدينة المكسورة

المدينة تنبض كجسد مرهق
تتنفس الحزن في كل زقاق
وتحمل على جدرانها أسماء لا يعرفها سوى الغياب
السماء تبكي ضوءها
و الهواء يصرخ بين الأنقاض كطفل فقد أمّه
و البيوت تتألم بصمتٍ طويل كأنها تحفظ آخر أسرار الراحلين

في الأزقة، خطوات بلا وجهٍ تعود
وأصواتٌ خافتة تلوح بالأمل
لكن الصمت يبقى الأعظم
ينسج من الفراغ حكاياتٍ لا تنتهي

المدينة تتكلم لمن يعرف القراءة بين الدموع...
الحياة هنا ليست كما كانت...
"كلّ ضحكة طيف، وكلّ دمعةٍ رفيقة طريق"

الريح صارت رَسولّةِ الأحياء والأموات...
تحمل رائحة البارود والأحلام المكسورة
وترسم على الرمل صورة من أحبوا ولم يعودوا
كأن المدينة تبكي نيابة عنهم

المشهد الثاني: حياة الناس بين الركام

النساء يخرجن مثل طيور مكسورة الأجنحة
يحملن الخبز، الماء، وقلباً يحاول أن يتماسك
يزرعن الضحكات على وجوه الأطفال الذين يبحثون بين الحجارة عن أجنحة ضائعة
رجال يجلسون على حجارة متفرقة
يتبادلون الأخبار بصوت خافت
كل كلمة تُقال كأنها تحمل وزن الانتظار...
وأحياناً يضحكون... ضحكة تُخادع الليل
لكنّها تتصدع عند أول صدى رصاصة
في بيت مهدّم، أمّ تجلس على الأرض
تلمس دفتر طفلها الممزّق

تقرأ الكلمات التي لم تُكتب بعد
تحدّثه عن المدرسة التي لم يذهب إليها
عن الألعاب التي لم يمسّها
وعن الغائبين الذين لم يعودوا
حتى الهواء يلمح أطياف الراحلين
يمر بين الأنقاض كأنه يلقي السلام الأخير

المشهد الثالث: المرأة التي تنتظر الغائبين

جلست على حافة البيت المهدم
كأن العمر كلّه تجمّع في تلك اللحظة
الحياة رحلت، وتركتها مع ثمن الجدران
يدُها ترتعش وهي تمسح الغبار عن صورة قديمة
صورة تبتسم فيها روح طفل... أو شاب رحل
تُحادثه في الليل، تروي له ما يحدث، وما قد يحدث..
عن الشمس البعيدة
عن المطر الذي لم يعد يزور الأرصفة.

كل نافذة مغلقة مرآة غياب
وكل باب مهجور ظلٌّ ينتظر
تبحث بعينيها عن همسة
عن خطوةٍ تعود
لكن كلّ شيء ساكن... كأن المدينة تمسك أنفاسها لتبكي معها
في الليل، حين يهبط الظلام كثوبٍ ثقيل
تجلس على العتبة
تمسح دموعها
و تتحدث إلى الغائب كما لو كان حاضراً
المدينة تتنفس معها... تحتفظ بكل دمعة هبطت
بكل كلمة لم تُقال

المشهد الرابع: أصوات المدينة الممزقة

المدينة تتكلم، لكن لا يسمعها إلا من يعرف القراءة بين الدموع
أصواتها تتسلل من بين الأنقاض: نافذة مهشّمة تهمس باسم غائب
باب مكسور يتنفس كصدر امرأة تنتظر...

أصوات الأطفال تتشابك مع الرّيح

ضحكاتهم نصفها أملٌ ونصفها خوف
الرجال يمسكون بالأخبار كأنها آخر خيط مع الحياة...
يقرأون المستقبل في أوراق ملوّثة بالدمع

النساء يحملن الحياة على أكتافهن، يزرعن الغد بين الأطلال، ويضمدن جراحاً لا يراها أحد
حتى الليل يتحدث: يختطف الصوت من الشوارع، يلمع بوميض نار بعيد
...ثم يترك المدينة تتساءل
من بقي؟ من رحل؟
المشهد الخامس: الزّمن بين الرصاصتين

المدينة توقّفت..
ليس فقط الشوارع... بل الزّمن...
لحظة الرّصاصة الأولى
تجمّد الأطفال
توقّفت الضحكات
وامتلأت العيون خوفاً لم يُكمل سقوطه بعد...
الرجال تراجعوا خطوة
والهمس صار صرخة في الداخل
النساء أخذن أنفاسهن كما لو يمنعن الموت من الدخول المدينة حاولت أن تبتلع الألم
لكن الألم أكبر من كل جدار
الطلقة الثانية لم تأتِ
لكن الخوف حاضر
يعلّم الصبر بين الرصاصتين
لحظة قصيرة تحمل حياة مدينة كاملة..

الخاتمة:

المدينة تنبض... رغم الصمت
كل حجر فيها دمعة
كل نافذة قصيدة
وكل زقاق همسٌ يمرّ بين أرواح الناجين
النساء يزرعن الحبّ فوق الخراب
ويخفين الألم تحت أذرعٍ متعبة
ليظلّ الليل خجولاً أمام صمودهنّ
الأطفال يركضون بين الركام
ضحكاتهم ناقصة، لكنّ عيونهم تلمع كالنجوم
الرجال يقفون على الأطلال
يزرعون الألم كما يزرع الشاعر كلماته في الليل

رغم الغياب... رغم الخراب... أنا حيّة... لا شيء يقتل " :المدينة تتكلم بلغة من يعرف بين الدموع النبض"

حتى الريح، حين تمرّ بين الأنقاض
تحمل رسائل الأحياء والأموات
وترسم على السماء مالم يُكتب بعد
فالمدينة مهما انكسرت...
لا تتعلم الموت..

هل الجدران تحمينا... أم تخفي عنّا مالا نحتمل أن نراه؟
وهل هناك من يسمعنا حقاً، أم أنّ الصدى وحده يجيب؟

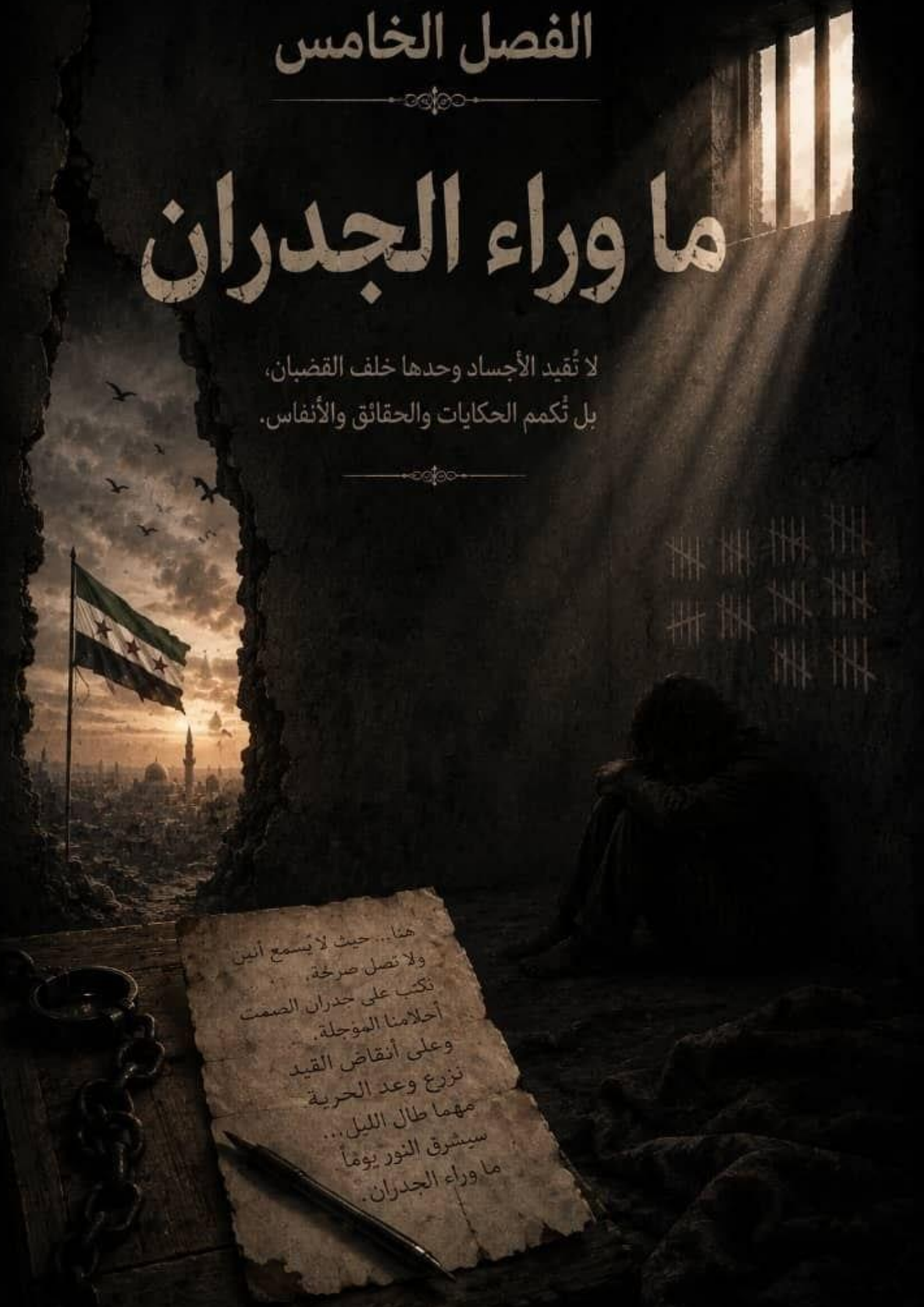
الفصل الخامس
ما وراء الجدران
لا تُقيد الأجساد وحدها خلف القضبان،
بل تُكمم الحكايات والحقائق والأنفاس.
هنا... حيث لا يسمع أنين
ولا تصل صرخة،
نكتب على جدران الصمت
أحلامنا الموجلة.
وعلى أنقاض القيد
نزرع وعد الحرية
مهما طال الليل...
سيشرق النور يوماً
ما وراء الجدران.

الفصل الرابع

ما وراء الجدران

في عتمة بلا نافذة، حيثُ الضوء جريمة...
تتنفس الأرواح بخوف أثقل من السقف.
هناك، في الأقبية التي صارت وطناً آخر لسوريا...
كل حجر شاهدٌ على حكاية انكسرت
الجدران باردة مثل أنياب تُغرس في العظم
الهواء مسمومٌ بالأنين

في هذه الزنازين لا يقاسُ الزمن بالساعات
يُقاس بعدد الجلدات..
بعدد صرخاتٍ تقطع قبل أن تكتمل..
بعدد الأحلام التي ماتت في صمت..

الليل هنا ليس ظلاماً؛ الليل هنا كائنٌ يلتهمُ الذاكرة
والأرض ليست أرضاً؛ بل بئر من بشرٍ مثقلين بالقيود
و الإنسان ليس إنساناً؛ بل رقمٌ يتنقّل بين قوائم الجلّادين

في السجون السّوريّة تتقاطع الأزمنة كلّها...
زمنُ الرومان والمماليك والعثمانيين
زمن الخوف الذي لم يزل،
زمن السلطان والجلاد الذي لا يشبع..
تتراكم الوجوه على بعضها كصفحات كتاب محروق؛ لاترى سوى رمادها،
وتشمُّ فقط رائحة الجلد المحترق..

"الوطن أم، والحاكم أب، والسجن بيت الطاعة" :كانوا يقولون لنا
لكننا اكتشفنا أن الوطن صار زنازين تلدُ زنازين..
وأنّ الأب حارسٌ بلباسٍ رماديّ..
وأنّ البيت لا طاعة فيه إلا للقيود..

في كل زنزانة طفل لم يكبر،
و امرأة لا اسم لها،
وشابٌّ علّق صوته على حبلٍ في سقفٍ واطئ
كل واحد منهم قصيدة تُكتب بالمسامير على الجدران
كل جدار مرآة مكسورة السماء

هنا، في هذا القبر
تعلّمنا أن الجسد آخر وطنٍ يمكن أن يحتلوه
وأن الرّوح آخر علمٍ يمكن أن يمزّقوه

الجلاد لا يسأل عن سبب حضورك
هو يعرف أنّك بريء
يعرف أنّك تحلم فقط...
لكنّه يحقدُ على الحلم أكثر من حقده على أي شيء آخر...
يضع حذاءه على عنقك كي يطفئ ما تبقّى من سماءٍ فيك...
يكتب على ظهرك تاريخاً لا يُقرأ
ويترك على أضلاعك خريطةَ وطنٍ أوسع من جسدك....

في كل صفعةٍ يسمع العالم صرخةً لا تصل إليه،
وفي كل جلدةٍ يولد نبيٌّ صغير في داخلك يهمسُ: لا تخنقني

الذين خرجوا من تلك السجون لم يخرجوا؛ ظلّ نصفُهم في الداخل.
ظلت أصواتهم معلقة على الجدران مثل صورٍ بلا إطارات،
ظلت رئاتهم محشوّة بغبار الرطوبة وقلوبهم مخبأة،
ظلت الكوابيس ترابط عند أبواب نومهم...

لم ينجُ أحد...
حتى الهواء الذي تنفّسوه في الخارج صار مثل هواءِ السجن؛ ثقيل، فاسد، بلا طعم...
في هذا الفصل، لا حاجة للبطولات الكبيرة...
البطولة هنا هي أن تتنفس رغم كلّ القيود
أن تحافظ على اسمك رغم أنهم نزعوه عنك..
أن تحفظ وجوه أمك وأخوتك رغم أنهم حاولوا مسح ذاكرتك
البطولة أن لا تنسى صوتك حتى لو صار همساً في العتمة...

يا سوريا...
إن زنازينك أكبر من جبالك
وأعمق من بحارك
لكنّهم لم يعرفوا أنّك كلّما نزفت أكثر كلّما صرت نهراً يهبُ ماءه من أجل الثورة
وأن كل من مات في أقبية السجون صار جزءاً من نجمة على علم أخضر
وأن كل دمعة نزلت في تلك الزنازين صارت يوماً ما رصاصاً في قصيدة

هذا هو وجه الوطن في المرايا المكسورة: وطن معصوب العينين
مغلول اليدين

لكنه لا يزال ينبض رغم القيود
في الصباحات الباردة داخل الأقبية،
حين يتفتّت الضوء إلى ذرّات هزيلة تتسلل من شقوق السقف
يبدأ النبض بطيئاً مثل جناح طائرٍ مكسور
يستيقظ المعتقلون على رائحة الموت و الرطوبة...
على همس أسماءٍ تُتلى سراً حتى لا تموت في الظلام...
كل اسم هو ولكن صغير،
كل وجهٍ هو خريطة طريق إلى الحرية المؤجلة...

في زاوية من الزنزانة، شاب يكتب بأظافره على الجدار كلمات لا تُقرأ إلا بالقلب
"أمي، أنا هنا... ما زلت أتنفس... ما زلت أحلم"
وبالقرب منه امرأةٌ تخبّئ تحت لسانها أغنية كي لا تُسرق منها
ترددها بصوت مبحوح لأطفالها البعيدين
وتغمس دموعها في التراب كي لا يشمّها الحارس....

التّعذيب هنا ليس مجرد أدوات و ركلات؛
التّعذيب هنا علم قائم بذاته،
يدرس على أجساد الناس كما تدرّس الخرائط على طاولات المدارس
السياط أرقام
الشتائم مقاييس
والوجع لغة واحدة يفهمها الجميع،
تُسحب الأرواح مثل الخيط من الإبرة
وتترك الأجساد هياكل بلا أسماء
لكن رغم ذلك، يظلّ في الزوايا سرٌّ صغير
ابتسامة تتسللّ بين المعتقلين...
كلمةٌ تُهمس عن الحرية، دعاءٌ خفيٌّ في الليل
ذكرى عناق قديم تحافظ على دفء القلب
في الخارج، هناك أمهات يفتشن في القوائم عن اسم لم يظهر
نساءٌ ينتظرن على أبواب المحاكم الوهمية
أطفال يكبرون بلا آباء لكنهم يتعلمون أسماء السجون قبل أسماء القرى...

المجتمع كلّه يتحوّل إلى زنزانة أكبر
يحمل صورة المعتقلين في جيوبه
وينام على أحلامهم المؤجلة...

الذاكرة هنا لا تموت
حتى الجدران تهمس بالأسماء...
كل مسمار في السقف له قصة،
كل حجر في الأرض يحمل نقش قدم مقيدة،

هذه الذاكرة هي السلاح الأخير...

مهما حاول الجلادون مسحها،
تبقى تنبض في الأغاني السرية،
في الرسائل المهرّبة،
في حكايات العائدين.

العائدون؟
أيّ عودة هذه؟

حين يخرج المعتقل من السجن
يحمل الزنزانة معه
يمشي في الشوارع لكن روحه تظل هناك
الليل عنده ليس مثل الليل عند الآخرين
النوم ليس نوماً
الصوت ليس صوتاً
كلّ شيءٍ صار ظلّاً
..ومع ذلك، يظلّ في قلبه شيءٌ لا يقهر
أنّه عاش الحكاية ورآها.. وأن حريته الداخلية أقوى من كل القيود

يا سوريا...
أقبية سجونك ليست النهاية، يا بداية كتاب آخر يكتبه من خرجوا أحياء ومن صاروا أرواحاً تحوم فوق جدرانك.
هؤلاء ليسوا أرقاماً، هؤلاء مفاتيح حريتك القادم...

كل صرخة ستصير في الغد نشيداً،
كل دمعةٍ ستكون نهراً،
كل جدار سيُهدم ليُبنى مكانه بيتٌ مفتوح النوافذ.

ظنّوا أنّ السجن موت؛ لكننا جعلناه ذاكرةً..

ظنّوا أنّهم قطعوا أصواتنا؛ لكنها صارت هواءً في كل شارع وبيت..

ظنّوا أنهم محوا أسماءنا؛ لكنّها صارت أغاني تمجيدٍ في أفواه الأطفال

وهكذا؛ حتى في القبو الأعمق، يولد الوطن من جديد، يتنفس رغم السلاسل، ويغني رغم القيود.

وطن معصوب العينين؛ لكنّه يرى
مكمم الفم لكنّه يغنّي
مقيّد اليدين لكنّه يكتب

الخاتمة:

ما وراء الجدران لم يكن سجناً...
كان مقبرةً للأجساد ومهداً للأرواح

في العتمة كانوا يبتلعون الخوف ويخرجون الصّمود..
كان الصّمت هناك أسداً يزأر،
وكان الضوء شظايا تتسلل من الشقوق،
الجدار نفسه صار شاهداً وحارساً للسّر...
لم ينكسروا... كانوا يزرعون الحرية في أرض الرّعب...

نغلق هذا الفصل كما نغلق باب زنزانة،
لكنّ أنينهم سيكسر الأقفال
وصمودهم سيخرج معنا إلى الصفحات القادمة..
.يفضح الليل، و يكتب بدمهم ما تبقّى من الحكاية...

إذا جثت الأسئلة على ركبتيها أمام صمت الجدران
فأي حكاية ستبقى على قيد الحياة؟
وإذا غابت الأصوات، و انكسرت مرايا الآلام،
فمن سيعرف الحقيقة المخبأة؟

الفصل السادس
حكايا
لم تروَ بعد
بعض القصص لا تموت...
تنتظر فقط من يكتبها،
من يسمعها،
من يؤمن أن وراء الالم،
حكاية تستحق أن تُروى.

الفصل السادس

حكايا لم ترو بعد

في أعماق ذاكرة متشققة كأرض عطشى؛ تسكن أرواح لم تجد لها قبراً ولا قصيدة
تطفو وجوههم على السطور كظلال طيورٍ هاربةٍ من القنص
أسماؤهم تتدلّى من حوافّ الجدران مثل جبال مقطوعة
لا تمسك أحداً ولا تُنقذ أحداً.....

هذا الفصل ليس كلاماً..
إنه رجفة الهواء حين يمرّ صوت أم تنادي ابنها في الفراغ
ورعشة الضوء حين يلمس صوراً مطمورةً تحت الرّكام
والشهقة الأولى لطفل لم يصرخ إلا في المنام...
هنا، كل سطر ليس جملةً بل جرحاً
وكل كلمة ليست حبراً بل رماد قلبٍ محترق...
أفتح دفاترهم، وأمدّ يدي في الظلمة فألتقط أنفاساً
تريد أن تصبح أسماء مرة أخرى.....

الحكاية هنا لا تُروى
بل تتناثر في الهواء كنجومٍ مكسورة
تضيء للحظة ثم تنطفئ
لكنها، حتى وهي مُنطفئة
تبقى شاهدة على أن الأرواح لم تمت
وأن الذاكرة وحدها
تستطيع أن تحمي ما تبقى من إنسانيتهم

الحكاية الأولى:

في برزة، لا تُولد الأزقة من ترابٍ فحسب..
بل من ذاكرةٍ تتراكم فوق ذاكرة
ومن دمعة تكبرُ حتى تصيرُ نهراً
هنا كلّ حجر له قلبٌ،
وكل نافذةٍ لها جناحٍ،
وكل باب يخبّئ وراءه رواياتٍ من الضوء و الظلمة معاً...

في برزة، لا يهبط الليل إلا مثقلاً بالأسئلة

ولا يشرق الصباح إلا مرهقاً بالغياب

الأمهات لا يضعن أطفالهنّ في الاسرّة،
..بل في قلوبهنّ كي لا تُسرق أحلامهم
و الرجال يعلّقون أسمائهم على صدورهم خشية أن يُنسوا إذا خرجوا وابتلعهم شيئاً من الموت

كلّ زقاق هنا صلاة سرية
وكلّ جدار مصحفٌ من الشهداء
‘‘نحن هنا ’’:الأطفال على الإسفلت بالحجارة
و الريح تأخذ أصواتهم وتبعثرها على الحواجز، فتعود إليهم هسيساً يشبه البقاء...

النساء يخبزن الخبز كأنهن يشوين أحلام البلاد كلّها،
في الرغيف أسماء الغائبين
وفي النار التي تنضجه دعاءٌ بأن يعودوا
حتى الأشجار في برزة تتكئ على جذوعها كالمسنين
تحرس الصغار
وتستمع إلى أحاديث الأرصفة...

هكذا تصير برزة أكثر من حيّ محاصر: تصير قنديلاً من ذاكرة حيّة
وتبقى رغم كل شيء مدينة تكتب ذاتها بنفسها بحبر الياسمين و البارود
وتلقّن القادمين أنّ الألم حين يتراكم يمكن أن يتحوّل إلى معنى
والمعنى إلى حياة
والحياة إلى مقاومة تبتكر لغتها الخاصة....

دخلت فرقة ماهر الأسد كما لو كانت عاصفة سوداء لأن تعرف الرحمة ولا الصمت

الشوارع كانت تتلوى تحت وقع أقدامهم الثقيلة
والأبواب تُفتح لتكشف عن نهايات البشر قبل أن يكون لهم أي بداية...
أصوات الطلقات كانت تتراقص في الهواء كالغبار،
تمحو أسماء الناس قبل أن تخرج على الشفاه..

الأطفال اختبأوا خلف أثاث محطّم
والنساء تجمدن في ردهات البيوت
والرجال حاولوا مقاومة الظلال؛
لكنها كانت أطول من حياتهم...

الزوايا والأرصفة... كانت شاهدةً على الرعب الذي ينسكب في القلوب قبل العيون...
المدينة نفسها تتنفس بصعوبة،
تصرخ بصمت،

كل حجر فيها كان يحمل صدى الدم والدمع...

كانت الدموع تتساقط على الأرصفة كما لو أنها محاولة يائسة لتثبيت إنسانية ضائعة؛
لكن الدّماء كانت أسرع، تكتب على الجدران قصصاً عن عبثية السلطة، عن وحشية لا تُرى إلا في الأحلام المظلمة...

كانوا كالظلال الثقيلة التي تبتلع كلّ نبضة حياة...
أصوات الصراخ مكتومة، لكنها تتسلل إلى كل زاوية..
تذكر المدينة بأنها لم تعد أرضاً للسلام؛ بل ساحة لجنون السلطة....

في كل زاوية، نافذة، وشارع
هناك شهادة صامتة على وحشية الإنسان،
على خوف يتغلغل في العظام،
وعلى صبر المدينة الذي انكسر تحت وطأة الرصاص....

الليل في المدينة أصبح أكثر سواداً
النجوم اختفت خلف دخان الطلقات
والقمرُ الذي كان شاهداً على الحب والعطاء، أصبح مرابطاً على الخراب....

كل صوت طبيعي،
كل خفق قلب،
أصبح مأساة صغيرة في سجل مدينة تأكلها العتمة قبل الضوء...

ومن صلب هذا الخوف؛
هناك أعين لم تفقد الإنسانية بعد،
العيون التي ترى الظلم وتعرف أن الكلمات ستصبحُ رماداً يوماً ما،
لكنها تكتب،
تشهد،
وتتمسك بأمل صغير وسط الألم...

الحكاية الثانية:

الغوطة، ليلة السماء المسمومة...
الهجوم جاء في الليل،
عندما كانت القلوب تبحث عن الأمان في أنفاس هادئة،
وكانت العيون تُغلق على وهم من الراحة...
لكنّ الغوطة لم تعرف طعم النوم منذ زمن..

لم تعرف الظلام كما نعرفها..
فالليل أصبح غازاً قاتلاً يختنق فيه كل شيء حيّ....
الأمهات حاولن أن يمسكن بأيدي أطفالهن...
أن يحميهن من شيء لم يُخلق لحمايتهم...
الرعب اخترق الرئة قبل أن يصل إلى القلب..
السعال أصبح صرخة،
والعطش صار ألماً يتسرب إلى كل عظم،
وجوه الأطفال تغيّرت في لحظة،
براءتهم كاين كالشمع أمام أسياف الغيم الملعونة...
البيوت المدمّرة لم تعد مأوى،
الشوارع تحولت إلى أنهار من الصراخ والدموع...
كل خطوة كانت كخدشٍ على روح لا تزال تحاول الصّمود،
وكلّ نَفس كان يكتب لحظة وجعٍ لن تُمحى...
الليل لم يكن مجرد ظلّ،
بل ساحة من الموت والهلع...
و السماء نفسها ضحكت على البراءة

الناس ركضوا، يتقازفون بين الركام،
يحاولون التنفس،
يحاولون الصراخ،
يحاولون أن يثبتوا لأنفسهم أن الحياة ما زالت ممكنة..
لكن الغوطة كانت تختنق،
الهواء صار فخّاً،
والموت يقترب بلا عيون، و بلا رحمة...

الأمهات وجدن أنفسهن يحملن ما تبقى من أطفالهن،
أحياناً صورهم،
وأحياناً أجسادهم الهزيلة..
يحاولن الإمساك بما يمكن الإمساك به

بينما السعال يقطّع حناجرهن،
و الدموع تختلط بالغبار،
و الغضب باليأس....

الليل الطويل بالغوطة كتب أقسى قصص الإنسانية:
قصص ألم لا يُنسى
روايات دمٍ لا يمحى
وحكايات صمت يهتز في كل قلبٍ حيّ...

كل نفس كان يكتب مأساة جديدة..
وكل دمعة كانت تروي وطناً ميتاً قبل أن يغيب الفجر.
الغوطة لم تعد مجرد مكان
بل صارت صرخة طويلة،
امتداد وجع،
ورحلة ألم لا تنتهي...
وجوه الأطفال،
عيون الأمهات،
صرخات البشر،
كلهم أصبحوا جزءاً من هذه اللحظة
لحظة لا تُنسى...
تذكرنا أن الإنسانية يمكن أن تقتل في ليلة واحدة.....

عندما هدأ الليل،
لم يعد هناك من يحتفل بالفجر،
لم تعد هناك أنفاس تكفي،
ولم تعد هناك أصوات يمكن أن تُسجل الألم...

ما تبقى من الغوطة لم يكن سوى صمت ثقيل،
ثقيل كالأحجار على صدور الأحياء
البيوت التي هزتها القنابل لم تعد إلا أطلالاً،
والطرق التي شهدت الركض والصراخ لم تعد سوى جراح مفتوحة لا تشفى....

الذين اختنقوا أصبحوا رماداً في ذاكرة الأرض،
والوجوه التي تحوّلت إلى رماد لم تعد تحكي إلا عن غياب كلّ شيء...

لم تكن الحرب هناك مجرّد معركة،
بل كانت امتحاناً للبشريّة،
فكانت الغوطة تقول لنا بصوت خافت
أن القسوة يمكن أن تقتل حتى الحلم،
وأن الإنسان قد يُحرم من الهواء قبل أن يُحرم من الحياة..

في كل مكان، كان الصمت هو الصراخ الأكبر:
صرخة الأرض على من خنقها
صرخة السماء على من استباحها
صرخة الإنسانية على من تخلى عن الرحمة

الغوطة شهادة حية على ما يمكن أن تفعله البشرية بالبراءة،

وعلى مدى سقوط كل ما نعتبره مقدساً في لحظة واحدة...

وفي النهاية، يبقى السؤال الذي لا إجابة له: هل ستتذكرنا الأرض؟
أم ستبلعنا كما ابتلعت صرخات الغوطة؟

الحكاية الثالثة.:

بين صمت المراقد وأشواق الذكريات، بدأت قصتها..
كانت صغيرة، لم تفهم بعد معنى الفراغ،
بقيت وحدها مع ظلاله
حيث الآس والمقبرة يرويان ما حدث، لكنها وحدها تنطق الحقيقة....

ها أنا أصعد، أحمل بين يديّ باقة من
الآس لأضعها على قبرك...
أبحث عنه بين أشقائه؛ كلهم متشابهون إلى حدّ ما...
إنه حيث أنتهي وينتهي بي المطاف بلا شيء، عاجزة تماما عن الحراك..
"الشاهدة"ركنت إليه الآن، ووضعت رأسي على ذلك الحجر الذي يحملُ اسمك
تلاشت كل أي القبور التي حفظتها...
وعدت بأدراجي إلى ذلك اليوم الذي رفضت فيه أن أقبلك...
فأتيت أنت وطبعت على خديّ قبلات متتاليات..

كيف لي أن أنسى لحظات الوداع الأخيرة؟

لا تذهب، أرجوك
لكنك لم تنصت إليّ...
يقال إنها الحاسة السادسة، لكنها حاستي المئة وستة التي أخبرتني بأنك لن تعود أبداً...

لحظات كدتُ منها أموت، لم أستطع كتمها أو منعها من الخروج..
انهمرت على وجنتي دموعٌ بعد أن اجتازت حاجزها المنيع، فانسلّت إلى تربتك..
ربما تكون تأنيباً لكَ على ما فعلته بي

مزقني غيابك، وجعل من روحي غصناً طريّاً كسره طفل بكرته فأصبح كعرجون قديم لا حياة فيه..

هذي أنا، أخبرني من سيكمل بناء أركان قلبي؟
من سيعيد إليّ روحيَ النضرة؟

تمنيتُ لو كنت في المنزل الآن،
أستيقظ من الكابوس خائفة،

فتأتي إليّ وتربت على كتفي ثلاث مرات..
أما الأولى فتجعلني أصحو مما كان يفزعني
والثانية تجعلني أعي ما يدور حولي
أما الثالثة فهي الشافية الكافية تطمئنني بأنك مازلت على مقربة مني، في جوار قلبي...

"عد أرجوك"
ربما خانتني حنجرتي وعلا صوتي،
وسمعني الأموات قبل الأحياء..
يا أنا اصمتي، فللقبور حرمات...

ماذا دهاني؟
يا لي من فتاة رعناء؛ ما فائدة الأجساد إن كان الوصول بالأرواح؟
آتي إلى مقبرة الأجساد أكلم جسماً لا روح فيه..
بالله عليك دلني إلى مقبرة الأرواح فهناك أشفى من سقمي عندما ألقاك..

جئت إلى هنا أبكيك بحرقة، ولكن سؤال يحيّرني ويؤرقني من سيبكيني عندما أغيب؟

آهات متتاليات غدرتني مجدداً وتحررت من سجنها إلى العالم الخارجي...

"اصمتي، انتهت الزيارة"
جاءني صوت خافت كأنه صوتك يأمرني بالرحيل، وكأنك ضجرت مني ومن شكواي المتكررة...
عجباً حتى أنت!

جمعت ما تبقى مني ومشيت أجرّ من خلفي آهاتي وآلامي..
خرجت والآس ما زال بين يدي...

ما جعلني أستفيق مما أنا فيه أصوات السيارات، نظرت من حولي فإذا بي أمام المقبرة..
أقف بجانب المعلقة التي تحمل اسمك، وعلى مقربة مني امرأة تحمل باقة آس، تريد أن تؤدي حق من تحب...
فألقيت نظرة من حولي وتنهدت بقوة؛
لأنني تذكرت أنك أنت بلا قبر وأنا بلا آس...

الخاتمة:

وفي النهاية، بقيت الأرواح تهيم بين المراقد والآس
تتنفس الصمت، وتكتب على الجدران أسماءً لا تُمحى...
الذكريات هنا لا تموت، لكنها تتلوى كالظلال

تطرق أبواب القلب، تبحث عن من يسمعها،
عن من يحتضنها،
بين دمعة وصرخة،
بين صبر وانكسار،
تظلّ المدينة شاهدة..
تحكي ما لم يرو، وتحفظ ما لم ينسَ..
وتعلمنا أن الحياة مستمرة رغم الغياب
وأن الحبّ حتى في أقسى الهزائم، لا يدفن...
بل يبقى حياً بين الأشواك والآس، ينتظر من يهمس به مرة أخرى...ز

حيّاً؟
ومن سيجرؤ على استدعاء ما تبقى من الحقيقة وسط ركام الأسى و الغياب؟

الفصل السابع
الهمسة الأخيرة....
صرخة مدوّية

الفصل السابع

الهمسة الأخيرة ....صرخة مدوية

في لحظة يلتقي فيها الصمت بالحرية
تتسلل همسة كنسيم خفيف بين جدران الروح..
همسة لا تنسى، لا تُمحى..
تخترق الأعماق قبل أن تصل إلى العالم الخارجي...
توقظ كل خوف مدفون،
كل ألم مكبوت،
كل حنين كان يختبئ في الظل،
تنمو هذه الهمسة،
تتحول تدريجياً إلى صرخة..
صرخة تهز القلب والروح..
تسمعها القلوب قبل الآذان
تتردد بين الجدران
"يا عالم، بشار سقط! سوريا حرة" :تقول بصوتٍ مدوّي
كأنّ الأرض نفسها تهتزّ تحت وقع هذه الكلمات...

كل دمعة ذرفت،
كل خوف احتواه الليل،
كل ألم خبأه الزمن...
يتحول إلى شعلة لا تنطفئ.

الروح تتذكر أنها ولدت لتقاوم،
لتكسر القيود،
لتضيء الحرية في كل ركن من القلب..
كل خفقة قلب تصبح صاعقة
كل نفس يتحول إلى شعلة
وكل صمت يُنسج منه طريق نحو النور...

الهمسة الأخيرة... ولادة الإنسان الجديد، الذي يعرف أن الحرية تبدأ في الداخل قبل أن تلامس العالم..
الإنسان الذي يزرع الأمل في كل جرح،
ويعيد رسم حدود الحياة بإرادة صلبة لا تبين..
هي وعد نطلقه لأنفسنا: لا خضوع للظلم..
إعادة ترتيب الكون ولو بصوت واحد..
دمعة واحدة
حلم صغير يتشبث بالحياة رغم كل القيود،

رغم كل أسوار اليأس..

ليست مجرد همسة..
بل انفجار في القلب،
صاعقة للأرواح؛ تحررها من قيود الخوف..
وتزرع شعلة أمل لا تُطفئ..
اللحظة التي ندرك فيها أن الحياة لا تُقهر
وأن الكرامة لا تُساوم..
وأن الحرية تبدأ في همسة..
تمتد في الصمت،
و تنفجر في صرخة تهزّ كل ما حولنا
كل شيء يتحوّل: الهواء يرتجف
الجدران تردد الصدى
الضوء يلتف حول كل نفسٍ متشبث بالحياة..

الألم يصبح عزيمة
الفقد درس
الصمت كلمات تفتح طريق النور في الظلام
والخوف يتحول إلى سلاح من صبر وإصرار...
الأحلام؛ حتى الصغيرة منها
تصبح طيوراً تحلّق في السماء
تخترق السحب الساكنة
لتعلن أن الإنسان مهما قمع أو سجن..
يبقى قادراً على الانتصار، التحليق،
وإطلاق الصرخة التي تغيّر العالم..
التي تعيد كتابة مصير الروح بكلمات
من ضوء..

الهمسة الأخيرة... هي البداية
بداية التي لا تُمحى..
تحفر في القلوب
وتذكّرنا أننا في أعماقنا أبطال حياتنا
حتى لو كسرنا..
حتى لو رحل من حولنا..
حتى لو اعتقد الجميع أن الظلام انتصر..
فالصرخة الحقيقية، تلك التي تبدأ من الداخل، لا يمكن لأحد أن يخمدها
ولا يمكن للزمان أن يمحوها

ولا لأي قوة أن تقف في وجهها..
إنها صدى الحرية،
النبض الذي يتردد في كل قلب
الضوء الذي يضيء حتى أكثر الزوايا ظلمة....

سقط التمثال قبل أن يسقط الرجل
كأن الريح التي كانت تهاب الاقتراب
منه قررت أخيراً أن تنتقم..

انكسر الحجر وتطاير الغبار..
وتنفست البلاد أول شهقة حرة منذ زمن بعيد..
لم يكن المشهد ثورة في صورة، ولا خبراً على شاشة؛
بل زلزلة في الوجدان..
كأن التاريخ نفسه نهض من تحت الرّكام ليعيد كتابة سطوره..

في الأزقة، خرج الناس حفاةً من الخوف، يحملون وجوههم الجديدة على كفوفهم القديمة..

ضحكوا، بكوا، صلّوا،
ووقفوا في الساحات لا يصدقون أن الشمس تشرق بلا إذن من أحد...

كانت العيون تبرق كأنها تستعيد معنى النظر..
والأصوات تتعثّر بالكلمات بعد عمر من الهمس..
طفل رفع علمه المهترئ من تحت الأنقاض...
"اليوم فقط عاد إلي" :امرأة علّقت صورة شهيدها على صدرها وقالت

في دمشق، المدينة التي حفظت وجعها...
ارتجت المآذن والكنائس معاً، وامتزج الأذان بقرع الأجراس كأنهما نشيدان لروحٍ واحدة....
على الجدران، كانت الشعارات القديمة تُمحى بدموع الناس لا بالماء..
في المقابر، بدا الصمت كأنه يبتسم...
لكنّ الفرح كان غريباً، كضيفٍ تائهٍ يبحثُ عن مكانٍ يجلسُ فيه...
الناس يضحكون، ثمّ يصمتون فجأة، كأنّ شيئاً في داخلهم لا يُريد التصديق..
فالسقوط الحقيقي لم يكن سقوط جسد على الأرض؛
بل انهيار الخوف في صدور الذين بقوا أحياء...
ذلك اليوم لم يُنهِ الحكاية؛
بل فتح صفحة جديدة مكتوبة بالدمع والدهشة..
فالثورات لا تنتهي بانتصارها...
إنما حين تفقد ذاكرتها، حين تنسى الأسماء التي انطفأت كي يُضيء الوطن..

وفي آخر السطر، كانت الصرخة الكبرى تُسمع في كل زاوية من البلاد...

صرخة أمّ وجدت ابنها في صورة على جدار..
صرخة شابٍ رفع قبضته نحو السماء...
صرخة وطن ينهض من تحت الرّكام ليقول: لم أمت... كنت أتنفس تحت التراب...

وتبقى الصرخة ما دامت فينا
صرخة حياة لا تُخمدها البنادق ولا يطويها النسيان..
صرخة شعبٍ حين يقف، يُسقط كلّ ليل... ولو بعد حين..

ما بعد الهمسات

هدأ الغبار، وكنت الأصوات.. لكن شيئاً في الهواء باقي مضيئاً، يشبه الأمل حين يرفض الموت..

كانت البلاد كطفلٍ خرج للتوّ من حريق،
مغطاةً بالرماد، لكنّ في عينيها بريقاً جديداً لا يعرف الاستسلام..
البيوت المهدّمة ما عادت جدراناً فقط، بل شواهد على المعنى...
الطرقات التي ابتلعت خطوات الهاربين بدأت تفتح ذراعيها للعودة.

الناس مازالوا يرممون ذاكرتهم من شظايا الأيام..
ينفصون الحزن كما تنفض الثياب من الغبار..
ويتعلمون من جديد كيف يضحكون بملء أفواههم دون خوف من العيون المراقِبة..

وفي الزوايا، ما زالت أصوات الشهداء تتردد خافتة كمهي الريح:
لم نذهب عبثاً، نحن ما زلنا هنا.. فيكم...

ربما لم تنتهِ القصة بعد، ولربّما لا تنتهي أبداً..
لكن ما حدث كان كافياً ليعرف الجميع أنّ الحرية ليست حبراً
بل طريق طويل...
يسفك عليه الدم
وتضاء نهايته بنور من الداخل..

وفي آخر الصفحة، تكتب الهمسة الأخيرة:
من رحم الألم يولد الوطن، ومن بين الدمار تنبت الحياة...

باسم الحريّة التي انبثقت من بين الركام
وباسم الوعد الذي يمت في أعماقنا... نكتب:
هذه همساتنا:
لحن الكبرياء الذي لم ينكسر
وصوت الحب الذي لم يخفه دخان الحروب..

دروبنا الملتوية بالألم
رسمنا على جدرانها ألا ننحني..
سوريا، لم تكن مجرّد خرائط تغيّرت
بل هي القلب الذي ينزف الحرية
والصوت الذي يخترقُ العتمة
ليصنع نوراً...

هكذا تكون العزة
ليست بعدم التعثر
إنما بالقدرة على النهوض مرة، وأخرى، وألف مرة..

وليست بعدم الأغلال
بل بأن تسير الروح
حتى وهي مفيدة
نحو الضياء...

همسات سوريّةٌ: دروب من العزة
لكل من سار على دروب المقاومة
ولم يخف، ولم يترك شبراً إلا وطأته قدم أمل...

تمت بعون الله.

الفهرس.

الإهداء.....5
إهداء خاص.....6
المقدمة.....7
الفصل الأول "جذور الغضب".....9
الفصل الثاني "الشرارة الأولى بداية الثورة".....13
الفصل الثالث "أيدٍ من بعيد دماءً هُنّا" 18
الفصل الرابع " المدينة المكسورة".....24
الفصل الخامس "ما وراء الجدران".....29
الفصل السادس " حكايا لم ترو بعد".....35
الفصل السابع " الهمسة الأخيرة صرخة مدوية" 44
الفهرس.....50

همسات سورية:

دروب من العزة

هذا الكتّاب ليس مجرد صفحات تُقلب،
بل ذاكرة وطـن ينزف منذ أعوام،
وصوتُ شعبٍ قرر أن لا يموت.

من جذور الغضب التي سكنت في القلوب،
إلى الشرارة الأولى التي أضاءت ليلَ الخوف،
من الأيدي البعيدة التي تلاعبت بمصير سوريا،
إلى الدماء التي روت الأرض ولم تجف بعد،
من المدن المكسورة والبيوت الخاوية،
إلى ما وراء الجدران حيثُ حكايا لا تعرف النور،
ثم حكايا لم تُروَ بعُد،
حتى الهمسة الأخيرة التي تحوّلت إلى
صرخةٍ مدوّيةٍ هزّت العالم.

إنه توثيقٌ للوجع،
واحتفاءٌ بالصمود،
ورحلةٌ بحثٍ عن فجرٍ يولد من بين الركام.

”
لِن تُمحى حكايتنا،
لأننا نكتبها بدمنا، وحِبرها الحرية. “

ISBN 978-9933-0-1234-7

وسى، شظايا القمر